مولانا الشيخ محمد عادل الربّاني

الحجة أمينة مثال الأمومة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم. الصلاة والسلام على رسولنا محمد سيد الأولين والآخرين. مدد يا رسول الله، مدد يا ساداتي أصحاب رسول الله، مدد يا مشايخنا، دستور مولانا الشيخ عبد الله الفائز الداغستاني، شيخ محمد ناظم الحقاني، مدد. طريقتنا الصحبة والخير في الجمعية.

سأل أحد الصحابة نبينا الكريم ﷺ طلباً للنصيحة، وكان جوهر سؤاله "من أحق الناس بالإحترام؟ ومن ينبغي عليّ رعايته؟". فأجابه النبي ﷺ "أمك". وعندما تكرر السؤال، أجاب مجدداً "أمك". وبعد أن تكرر السؤال بضع مرات، قال في النهاية "أبوك". وبناءً على ذلك، يُعدّ إكرام الأم من الركائز الأساسية في الإسلام. لقد خصّ الله عز وجل المرأة بدور الأمومة؛ فالإنسان يُحمل في رحم أمه، وتتولى هي رعايته وتنشئته. ولما كانت التنشئة الصالحة ذات أهمية بالغة، فإن طاعة الأم تُعدّ سبيلاً لتحقيق ذلك؛ فالأم هي المدرسة الأولى التي يتلقى فيها الإنسان دروسه الأولى في الحياة. لهذا السبب، أكد العلماء، المشايخ، ونبينا الكريم ﷺ على أهمية دور الأم، وضرورة توفير الرعاية اللائقة لها وإحاطتها بكل التقدير والاحترام.

.

اليوم، الشكر لله، ذكرى انتقال "الحاجة آنة" (الحاجة أمينة) من هذه الدنيا، بعد حياة قضتها في الخدمة. رضي الله عنها وأرضاها؛ فقد كانت أماً لنا جميعاً، وكرست حياتها لخدمة شيخنا. ومما يبرز كواحدة من أهم صفاتها أنها كانت نموذجاً يُحتذى به في كل شيء وللجميع - رجالاً ونساءً على حد سواء - إذ اتسمت بخصال الأولياء. ولأنها كانت زوجة "سلطان الأولياء"، فقد اعتبرت جميع المريدين، الإخوان والمؤمنين بمثابة أبنائها. ومن سماتها الفريدة أنها لم تكن تفرّق بين الأبناء؛ فلم تكن تميّز أحداً على حساب الآخربالقول "سأقدم لهذا أكثر" أو "سأخصّ هذا بمزيد من الاهتمام". وهي صفة نادراً ما نجدها في الناس. في بعض الحالات، قد لا يكون الأمر جلياً على الفور، لكنه يتضح مع مرور الوقت؛ وفي حالات أخرى، يكون ظاهراً بشكل صارخ. فقد تجد أباً أو أماً يخصّان أحد الأبناء بفيضٍ من المحبة والاهتمام، بينما يعاملان آخر وكأنه كلبٌ ضال. لقد شهدنا هذا كثيراً في البيئة التي نشأنا فيها. وقد ندرَ وجود أشخاصٍ -على غرار "الحاجة آنة"- يمنحون أبناءهم جميعاً قدراً متساوياً من الحب والمودة. وحين يحدث هذا، تصبح عملية التربية في أسوأ صورها؛ فهي ليست مجرد تربية "ناقصة"، بل هي تربية سيئة للغاية. وهؤلاء الأبناء، بدورهم، ينشئون أطفالهم على النهج ذاته، وهكذا تستمر الحلقة؛ لينتهي الأمر بالمجتمع بأسره وهو يخرّج جيلاً بائساً، يمكن وصفه بأنه جيلٌ يتسم بالأنانية، وسوء الأدب، وانعدام الأخلاق.

.

لذلك، فمن الضروري -بل ومن الأهمية البالغة للمجتمع وللناس عامةً- تعلّم كيفية تربية الجيل القادم والتعامل معه. ولكي ننشئ بشراً صالحين ومستقيمين، لا بد من ركيزة أساسية، وهي: "العدل". حتى القرآن عظيم الشأن يوجه من يتزوج بأكثر من امرأة ألا يفرّق بينهن؛ فالعدل مطلبٌ أساسي. وإن تعذّر تحقيق العدل التام، فعلى الأقل ينبغي ألا يظهر التمييز بشكلٍ فجّ. إن جزءاً كبيراً من غياب السكينة بين الناس اليوم يعود إلى إخفاق الأمهات في توفير تربيةٍ سليمة؛ فالمرء يربّي أبناءه بالطريقة ذاتها التي نشأ هو عليها على يد أمّه، وتستمر الدائرة في الدوران.

.

مولانا الشيخ محمد عادل الرباني

لهذا السبب، تكتسب معرفة كيفية تربية أبناءٍ صالحين أهميةً قصوى. إنها مساعٍ بالغة الأهمية، وتعود في نهاية المطاف بالنفع على المربّي نفسه أيضاً. إن ما أنجزه يتماشى مع ما أخبرنا به نبينا الكريم ﷺ؛ فإذا رحل الإنسان عن هذه الدنيا، تبقى ثلاثة أمور تُدوَّن في صحيفة أعماله إلى يوم القيامة: نشر علم نافع (كأن يؤلف كتاباً أو يُعلِّم الآخرين)، وتأسيس صدقةٍ جارية (كإنشاء مدرسة أو مسجد أو مركزٍ تعليمي)، وتربية ولدٍ صالح. وفيما يخص هذا الأمر الأخير، يجب على المرء أن يدرك المعنى الحقيقي لتربية الولد الصالح. إن التربية لا تكون بالطريقة التي يتبعها الكثيرون اليوم؛ فهذا ليس صواباً. فإذا قصرتَ في تعليم طفلك الأدبَ الصحيح، فسينتهي به الأمر إلى التلاعب بك — يفعل معك ما يشاء — وهذا ليس من الأدب في شيء. يحتاج الطفل إلى قدرٍ من الإنضباط؛ فإذا غاب ذلك، ولم يواجه الطفل أي صعوباتٍ في صغره، فإنه سيواجه مشقاتٍ جسيمة عند بلوغه سن الرشد. وحين تداهمه تلك الصعاب، قد ينهار تماماً، عاجزاً عن التأقلم أو تجاوز المحنة.

.

وعليه، فإن تربية الطفل تكتسي أهميةً بالغة. وللأمهات دورٌ عظيم، ومكانةٌ رفيعة؛ نسأل الله ﷻ أن يعلي درجاتهن. لقد سبقتنا بالرحيل، لكننا نرجو من الله أن يجمعنا بهن في الجنة. نسأل الله أن يرزقنا منزلةً تضاهي منزلتهن، وأن يجعلنا بجوارهن؛ فبما أننا نحبهن، وكما قال نبينا الكريم ﷺ "المرء مع من أحب". إن شاء الله، نرجو أن نكون معهن في الجنة إلى الأبد، إن شاء الله. ومن الله التوفيق. الفاتحة.

مولانا الشيخ محمد عادل الحقاني
16 تشرين الثاني 2026/ 6 جمادى الآخرة 1448
ليفكا، قبرص